

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نعم العدد ١٥ ملبا

الاهتمامات

يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة البحوث في الآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المشرف

احمد حسن الزيات

الزواجر

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - حادين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٧٩ « القاهرة في يوم الإثنين ١٨ شعبان سنة ١٣٦٣ - الموافق ٧ أغسطس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

طفيليون ومقترحون

الأستاذ عباس محمود العقاد

لبعض الهيئات الإنجليزية نشرات دورية تصدر بأسماء الكتب التي تؤلف وتطبع في الموضوعات المختلفة شهراً بعد شهر وموسماً بعد موسم ، وترسل إلى من يشاء في أنحاء الأرض للتوصية والانتقاء

في النشرة التي صدرت أول السنة الحاضرة أسماء كتب كثيرة في موضوعات مختلفة ، منها كتاب بعنوان النشر والحماة ، من تأليف ساكفيل وست ، يدور على ترجمة القديسة تيريزا راعية أسبانيا ، و ترجمة القديسة تيريزا الازية الملقبة بالزهرة الصغيرة

ومن هذه الكتب ترجمة لفارح الجرس البيروني Alberoni الذي استطاع في القرن الثامن عشر أن يقفز في أسبانيا من قارع جرس إلى كردستان وأن يحكم البلاد الأسبانية بسلطان الدين والدنيا . وعدة صفحات الكتاب نحو ثمانمائة صفحة يباع بواحد وعشرين شلن

ومنها ترجمة جديدة - شعرية - لقصيدة دانتي الشاعر الإيطالي عن الجحيم

وهذا بعض المحصول في شهر واحد من السنة الحاضرة فأين المقترحون يا ترى في البلاد الإنجليزية ؟

الفهرس

صفحة	
٦٤١	طفيليون ومقترحون ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٦٤٤	أحمد رامي : الأستاذ دريني خشبة ...
٦٤	وحدة الوجود والأستاذ دريني خشبة في مقاله الثالث ... : الأستاذ معروف الرصافي ...
٦٤٩	« داعي الدعوة » مناظر المعري : الدكتور محمد كامل حسين ...
٦٥٢	الطبيعة في الشعر العربي والشعر العالي ... : الأستاذ سيد قطب ...
٦٥٦	الخط الأول ... : الأستاذ محمد محمود جلال بك
٦٥٧	نقل الأدب ... : الأستاذ محمد إسماعيل النشاشيبي
٦٥٨	السراب ... [قصيدة] : الدكتور إبراهيم ناجي ...
٦٥٨	تحية المعري ... : الآفة ودوى عبد الفتاح طوقان
٦٥٩	تمقيب على مقال ... : السيد صدق حمدي ...
٦٥٩	حول أغلاط ... : الأستاذ عبد الحميد ناصف ..
٦٦٠	الحوارزمي ... : الأستاذ علي محمد حسن ...
٦٦٠	« وجيدة » للأستاذ شبان الأديب حسين محمود البشبيشي ...

مسكينة تلك البلاد التي لا تظفر بمقترح واحد من مقترحيها الذين يعدون بالعشرات

فأول ما يخطر على البال أن نورد أولئك المساكين بدمعة من هؤلاء المقترحين يعلمونهم ما يكتبون وما لا يكتبون ، ويذكرونهم أنهم في حرب زبون ، وأنهم يضربون بالقنابل صباح مساء ، وأنهم يواجهون بمشكلة التعمير في لندن والبلاد الإنجليزية ، ومشكلة التعمير في أوروبا والقارات الأخرى ، ومشكلة البلاد الحرة والمستعمرات ، ومشكلة النقد والتصدير والمعاملات بينهم وبين الدول كبيرها وصغيرها ، ومشكلة التفاهم على توحيد الخطة بينهم وبين الروس والأمريكيين والصينيين ، ومشكلة العمال ورءوس الأموال ، والتأمين الاجتماعي ، والتوفيق بين الديمقراطية وسائر المذاهب الاجتماعية نسي المساكين هذه الحرب الحاضرة التي يذكرها المقترحون

الطفيليون عندنا ويذكرون بها الكتاب والمؤلفين نسي المساكين أنهم في سنة ١٩٤٤ . للميلاد ، وأنهم يواجهون بتلك المشكلات التي لا تواجه أمة من الأمم : فظهر بينهم من يؤلف الكتب عن القديسات في البلاد الأجنبية ، وعن قارعي الأجراس في بلاد الأسبان قبل قرنين ، وعن شعر رجل إيطالي بنظم القصائد قبل ستة قرون

وعندنا نحن في مصر ذخيرة كافية من المقترحين و«المهتكرين» الذين يقفون على أيدي المؤلفين ليعلموهم ما يكتبون وما لا يكتبون فلماذا نبخل على الناس بحفنة من هذه الذخيرة الكافية نذكرهم ما نسوه ، ونحاسبهم على ما فرطوا فيه ، ونمر بالمداد الأسود على أسماء الكتب التي لا يجوز أن تكتب أو تطبع في سنة ١٩٤٤ ، لأنها ترجع إلى موضوعات في سنة ١٨٠٠ أو سنة ١٣٠٠ أو ما قبل ذلك بزمان يقصر أو يطول ؟

لسبب واحد يصح أن نبخل على الناس بحفنة من تلك الذخيرة الكافية ، وهو أنها ذخيرة مستغنى عنها في الأمم الصالحة كل الاستغناء ، فيوشمك أن تعود في السفينة التي ذهبت بها إلى الديار الإنجليزية ، لتقترح بيننا ما نشاء في البلاد الذي يحب المقترحات ويكره الأعمال

الأمم الصالحة تستغنى عن تلك الذخيرة كل الاستغناء ، لأنها تعلم أن المعرفة مطلوبة حيث كانت ، وأن التاريخ قد خلق

ليكتب عن الماضي البعيد والقريب ، ولولا ذلك لما خلق التاريخ ، وأن المؤلف يحاسب بشيء واحد وهو إحسان ما يكتب وإتقان ما يطرق من الموضوعات ؛ فإن أحسن فهو مقبول نافع ، وإن كتب عما قبل الطوفان ؛ وإن أساء فهو مرفوض غير نافع ، وإن كتب عن موضوعات يومه ساعة بعد ساعة ، ولم ينتظر بكتابته عن اليوم موعد الغروب

الأمم الصالحة لا تفهم تلك البدعة الزرية التي تحمل العقول البشرية مرهونة بالأفان والطايع ، فلا تفكر ولا تكتب إلا في الطعام والشراب يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وعاماً بعد عام

وأقسم أن الذين يتفهمون بتلك البدعة عندنا لا يفهمون كذلك ما يقولون ، ولا يدرون أو لا يدري كثير منهم أنهم مستخرون لأغراض يساقون إليها وهم لا يشعرون

فالواقع أن الكتابة عن الماضي لا تبطل في زمن الألمان ، لأن الناس كانوا يعرفون أن التاريخ « ماض » حين اخترعوه وكتبوا فيه

وأن الكتابة عن النفس الآدمية وأسرارها في العظم ، وغير العطاء تبطل في زمن الألمان ، لأن التعريف بإنسان واحد شر تعريف بالنوع الإنساني كله من قديمه وحديثه وماضيه وآتيه ، وهو معرفة ينمو بها العقل الذي تنميه كل معرفة في كل موضوع ولكن الدعاة المغرضين المذاهب الهدامة يكرهون الكتابة في بعض الأمور ولا يجسرون على الجهر بعلّة الكراهة ، لأنها تصرف عنهم الأسجاع والعقول ، فيحاولون الوصول إلى أغراضهم من طريق غير طريق العقول : من طريق اللعنة والبطون

هاتوا الفتنة ! نحن لا نريد التاريخ ولا نريد النفس البشرية فتسممهم البطون وإن لم تسممهم العقول

أصحاب المذاهب الهدامة يكرهون الكتابة عن عمر ابن الخطاب وخالد بن الوليد وعن الأدب واللغة وتواريخ الأوطان وتواريخ الأديان

يكرهون الكتابة عن كل ما يحى في الأمم نحوه وطنية أو نحوه روحية أو نحوه أدبية أو لغوية ، لأنهم لا يريدون من الناس إلا أن يشمروا بطبقة واحدة تحارب جميع الطبقات ولا تجمعها بالآخرين جامعة دين ولا وطن ولا لغة ولا مطلب

فإن كان بهم لآعج من الهم أن يبسطوا القول في الزراعة والصناعة ومعارض الثروة ومحصول القمح والبرسيم فما منهم أن يبسطوا القول فيها ويمقدوا الفصول عليها ويألفوا المكتبات بعصفتها وترجماتها وهم يحملون الأقلام ويبسطون ؟ نحن في شهر أغسطس وفيه ذكرى سميد العظيم وهو رحمه الله لا يجمل هؤلاء المقترحين لأنهم عاشوا في زمانه كما يعيشون في هذا الزمان

وفي سياق الذكرى والعبرة نشير إلى كلمة له في هذا الصدد تأتي ولا ريب في أوانها المقدر
قال لي صرة : « إن آفتنا الكبرى ألا نحمل تبعاتنا وأن نحاسب غيرنا على واجباتهم ولا نحاسب أنفسنا على واجباتنا . ثم استطرد قائلاً : منذ نحو ثلاثين سنة دعونا بفرائض مشهور طلبنا إليه أن يقيم سرادق عرس وأوصينا أن يفرغ من إقامته قبل المساء . وفي عصاري اليوم صرنا بالسكان فإذا بالسرادق أكرام من الأخشاب والكراسي والثريات والمصابيح ولا سرادق إلا اليمدان مفرقة هنا وهناك لا تؤذن بالانتهاء قبل أيام ... ما الخبر ؟ الخبر أن العمال اختلفوا في التنظيم والتقسيم فراح كل عامل منهم يشير على غيره بما يعمل وينتظر هو تنفيذ الإشارة ! واضع الكراسي يقول إنه لا يدري كيف يصفها قبل أن تقام اليمدان ، فيأمر من يقيم اليمدان بأن يقيمها حسب ما أمره وعلى عليه ! ومعلق الثريات في خلاف مع الإثنين يقول إن الكراسي ينبغي أن تصف هنا واليمدان يجب أن تقام هناك ... ولو أقبل كل على عمله لانتهوا جميعاً واستطاعوا أن يفتخروا فيما بينهم هذا الخلاف - ٥٥٣ من كتاب سميد زغلول »

ونحن نعرف ما نصنع ونكتب ما نريد أن نكتب ونعرف لماذا نكتبه ونريده . فعلى غيرنا أن ياتفتروا إلى كراسيهم وثرياتهم وعمدانهم فيشتغلوا بها عن الاقتراح والإشارة وهم مكتوفو اليدين أما الذين يتطاولون فيومئون إلى مكاسب الكتب فأنا نقطع ألسنتهم بكلمات ممدودات لا تزيد عليها ، وهي أنهم يعلمون وغيرهم يعلم في أنحاء العالم العربي أن كاتب هذه السطور قادر على أن يكتب بقلمه أضاف ما يكسبه من الكتب إذا سأل له نفسه أن يخدم الدعوات التي يخدمونها أو يخدمون أمثالها ... وفي هذا الكفاية

عباس محمود العقاد

من المطالب الإنسانية التي تتجاوز الأجور والأسواق يكرهون ذلك ولكنهم يخرسون دون الجهر بما يكرهون ، فلا يقولون إنهم يكرهون الكتابة فيما يحبى الكرامة الوطنية أو الكرامة الروحية بل يصيحون : الفتنة الفتنة ، والجوع الجوع ، والحاضر الحاضر ، لنتمنى العيون وقت البطون كما يقولون

ومتى كانت « مشكلات اليوم » مانعة أن يفكر الناس في مقاصد المعرفة ومطالب النفس الإنسانية ؟ ومتى كان الكلام في التاريخ وسير العطاء وأسرار النفس البشرية معطلاً لبحوث الزراعيين والصناعيين ودعاة الإصلاح الاجتماعي والمدالة الاجتماعية ؟

هنا في مصر - ولا نقول في أوروبا وأمريكا - تصدر بين الحين والحين كتب في الزراعة وتربية الحيوان ومستقبل النقد وقواعد المعاملات وأصول السياسة تزيد في العدد على كتب الأدب والتاريخ

فإن كان البعثون الاقتصاديون لا يحسنون جمع الأرقام واستخلاص الحقائق التي يبنون عليها صلاح المجتمع المصري فقولوا لهؤلاء إنهم مقصرون وإنكم لا تكتبون فيما ينبغي لكم أن تكتبوا فيه

قولوا البائع الملابس إنك لا تأتي بالصوف الأصيل والقطان الجيد والسكتان المتين ، ولكن لا تقولوا للصيدلى أو بائع السكر إنك المشلول دون غيرك عن الصوف المصنوع والقطان المخلوط والسكتان المدخول والتفصيل المغيب

أو قولوا إن كنتم مخلصين إن المعرفة مطلوبة وإن دراسة النفوس البشرية حسنة نافعة ، ولكننا نحتاج إلى مؤلفين آخرين يكتبون فيما نقترح عليهم من المقاصد والأغراض لكنهم لا يقولون هذا ولا ذاك

وإنما الشيء الوحيد « غير اللازم » عندهم هو الكتابة في إحياء النخوة القومية أو النخوة الروحية أو أن تجعل بين أبناء آدم أسرة غير أسرة الأجور والأسواق . وليكتب من شاء بعد ذلك فيما يشاء

وبأني المقترحون الطفيليون عندنا فلا يكتبون ولا يدعون غيرهم يكتب فيما يحسن أن يدرس ، ويحسن الناس أن يقرأوه

٣ - أحمد رامي

للأستاذ دريني خشبة

لعلنا لم نفاجئ أحداً بتلك الصورة الشاحبة التي حاولنا أن
نرسم بها خطوطاً سريعة لقلب رامي ... ذلك القلب الذي كان
الناس يحسبونه خلقاً للفرح والمرح والفناء ، والأيالي الساهرة
الطروب . فإذا هم يروونه قلباً ينضج بالآلام ، وبفيض بالآسى ،
التي استحوطت في فم الشاعر شدةً وحزناً بائساً ، وغناءً رقيقاً
رقيقاً موحياً . وإذا هم يروونه قلباً عالمياً يخفق بآمال الإنسانية
وآلامها . يكلم الناي ويناجي البدر ، ويتوجع للتقيط ، ويخطب
الطير ، ويرثي للجمال الراحل ، ويرق للقريب ، ويندب حظ
الهمز السجين ، وينتفض لليتيم ، وبقي للحبيب ، وبأسى لزهرة
الذابلة ، ويخفق بجناح الرحمة فوق قبر الجندي المجهول^(١)

ونحن لا نعتذر عن هذه الصورة الشاحبة ما دامت هي
الصورة الحقيقية لقلب رامي ، وما دامت هي الذبوع الصافي الذي
شاعت موسيقا خريره في أغانيه . في تلك السنين العشرين التي
ظل رامي طوالها أسطع شاعر من شعراء الغناء في مصر ،
بل في العالم العربي كله

لم يطبع رامي من شعره الكثير الاخر غير هذه الدواوين
الثلاثة التي يجمع أولها شعره بين سنتي ١٩١٦ و ١٩١٧ ،
وثانيها شعره بين سنتي ١٩١٨ و ١٩٢٠ ، وثالثها شعره بين
سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٥ . كما نشرت له سنة ١٩٤٢ مجموعة من
شعره لأغانيه . ويختلف الجزء الثالث عن الجزء الأول والثاني
اختلافاً شديداً بينا ؛ إذ نرى الشاعر في أول الديوان يشكو
عزوفاً عن قول الشعر . ونراه يحن إلى جفته الأولى التي طامسا
خفق فيها بجناحيه . وحلق فوق أفنانها يغازل الجود ويب
من الخمرة الإلهية . . . ونراه لا ينظم في العام الطويل المريض
غير قصيدة واحدة أو قصيدتين يتشوف فيهما إلى عروس غابه
التي كانت تلهمه وتوحى إليه . ثم صدت عنه فجأة . . . وولت
لا يدري إلى أين . . .

أين وحى الخيال والوجدان يستقي منه خاطري ولساني

(١) هذه كلها أسماء قصائد نظمها رامي

طال صمتي حتى خشيت على شعر ي يهني وحيث وأد بياني
أسكوت والسكون جم المعاني وسكون والنفس في ثوران
هذه نضرة الطبيعة تنثا ل جمالاً على حياً الزمان
وحرام في ليلة البدر ألا نسمع الأذن سجمة الكروان
وحرام ألا يحبي طالع ال فحجر طير الصباح بالألحان
وحرام ألا تمل غصون ال روض في هبة النسيم الواني
لست أدري أأستجيم لخطب الد هر أم أنطوى على أحزاني
يا بنات الشعر انقضي وغنبي وهاتي من شيفات المعاني
ودعيني إما أنوح على حظي وإما أبكي شساي الفاني
لا أريد المضي عن هذه الدنيا ولم تمتل بيت جناني
إن صعباً على المراهق تبلى لا تناعسى على أكف القيان
وشديداً على النفوس مداراة أساهها بالصبر والكتمان
فاجلي أنسى رويك فبعض النوح أشجى من مطربات المعاني
ودعى همسة الضمير تدوى من عميق الآباد في الآذان
ربما شاق لحنها قلب محزون ن وراقت ألفاظها سمع عان
كنت رطب اللسان ينطف منه ريق الشعر بين آن وآن
وإذا بي حرمت نفسي سلوا ها وحرمتها على إخواني
هذه أبيات من قصيدة جميلة لم يقل رامي غيرها في مدى
سنة أشهر . وإليك أبياتاً من قصيدة أخرى لم يقل غيرها في
مدى ستة أشهر كذلك :

إني لأخشى أن تموت عواطفي ويحف ذاك النبع من أشعاري
وتقر نفسي بعد ثورتها فلا يحتاجها شيء سوى التذكار
وترى مجال السكون عيني خالياً من بهجة الآصال والأسحار
إني ليحزنني بقاء صامتاً ولدي هذا الكثر من أفكار
وأكاد أندب خاطري ومشاعري

ومما إلى نفائس الأذخار
في الشعر ناسأني وفيه رفاهتي وإليه أشكو صولة الأقدار
فإذا سكت فقد حرمت شكايي ولرب شكوى نفست أ كداري
تري ، لماذا صمت رامي هذا الصمت الذي أفزع خياله ،
وأرق شيطانه ، وجعل عرائس الشعر تجار بالشكوى من طول
ما سكت البلبل ؟ إن رامي يجيب على ذلك بقوله :

هل زال من دنياي حُسن هزني

أم قرّ في قلبي لهيب النار ؟

حب تضرم في حنايا أضلعي فأصابه بأس بطول قرار (؟؟)
وبكيتته حتى مللت بكاء فسكت منطوياً وحزني وار
وأردت أسدل فوق ماضي صبوتي

من طول أيامي فضول سستار
فإذا الحياة خلت من الحسن الذي
قد كان فيها متممة الأبصار
وإذا بها أقوت من المعنى الذي

قد رافني في سالف الأدمار
وإذا بقلبي في مناحي أضلعي مثل القريب غدارهين سفار
مستوحشاً في مهمه متطاوول بمدت مطارحه على الأنظار
ويزيدنا علماً بمأساة قلبه ، فيقول هذه الأمبيات الخوالد :

لمن التناء أقوله فأصوغه من أدمي ودمي وطيب سراري
ومن الذي يوحى إلى من الهوى قبس الخيال ، وسدحة الأوتار
ما أطلق الطير الصدوح بشدوه

مثل ابتسام الزهر والنسوار
أو نضر الزرع البهيج زهوره كالشمس والماء النير الجاري
أو أرقص البحر الخضم عبابه كالبدور يشرق باهر الأنوار
الحب ينبع الشعر منه تفجرت عين الممانى والخيال الساري
الحب لحن النفس وقعه على وتر القريض بنان موسيقار
الحب يفسح في الحياة مراحها ويحفها ببدائع الآثار
فلرب ساعة خلوة هفافة طالت عن الأجيال والأعمار
ولرب وجه أبعدت قسماته أبهى من الجفات والأنهار
ولربما فافت مناجاة الهوى معنى ومغزى تمتع الأسفار
ولرب ثغر باسم أحيا التي وأطارها في النفس كل مطار
هذا هو الحب الذي أشواقه فيهج ساكن روي الزخار
ويعدني بالشعر معنى سامياً ويبت فيه جلائل الأسرار
وبعد ... فنخشى إذا أطلنا الاقتباس على هذا النحو أن

يخرج المقال مكتوباً بقلم رامي نفسه ... وبعد أيضاً ، فلنسأل
رامي عن هذا الحب العجيب الذي تضرم في حنايا أضلعه ، وبكاه
حتى مل بكاءه ، ثم سكت منطوياً عليه وحزنه وار ، وأراد
أن يسدل ستاراً على ماضي صبوته ، فلما فعل ، وجد الحياة
قد أقفرت من معناها الجليل الذي كان يروقه في الزمان الذابر .
وإذا ...

وإذا بقلبي في مناحي أضلعي مثل القريب غدارهين سفار
مستوحشاً في مهمه متطاوول بمدت مطارحه على الأنظار ؟!

ولله هذه الصورة الرائعة للقلب الذي أقفر من الحب ،
يصورها خيال رامي الشاعر المبدع الفنان ! إنها صورة تذكرونا
بصور صديقنا العبقري الدكتور إبراهيم ناجي ، صاحب القلب :
الشهيد المتواري في الضلوع !

وهنا ... يجب أن نقف قليلاً لنقذف في أسمع شعرائنا
خاصة ، وأدبائنا عامة ، بذلك السؤال الذي طالما هممت أن أكتب
في موضوعه كلاماً طويلاً لا ينتهي ، أناقش فيه أولئك الشعراء
والأدباء الحساب عن قصص قلوبهم ، وأنباء حبههم ؟
لماذا لا يصارحنا سادتنا الشعراء والأدباء بأنباء ذلك الحب
الذي يحقونه عنا ، وهم يعلمون أن :

الحب ينبع الشعر منه تفجرت عين الممانى والخيال الساري
والحب لحن النفس وقعه على وتر القريض بنان موسيقار
لماذا يتركوننا سادتنا الشعراء والأدباء في ذلك الظلام الدامس
من أنباء حبههم ، ونحن لا نفتيح كتاباً من كتب تاريخ الأدب
في الشرق أو الغرب إلا ونطالع من أنباء غرام الشعراء والأدباء
المفصلة تفصيلاً تاماً ظريفاً طريفاً ما نقف منه على أهم صفحة
في كتاب حياة كل منهم ؟ أي شاعر من شعراء العرب
الجاهليين أو المخضمين أو الإسلاميين أو الأمويين أو العباسيين
لا نعرف قصة حبه رائمة مفصلة ؟ وأي شاعر من شعراء
الغرب لم نكتب عن أخباره الغرامية الكتب والمؤلفات ؟ هل
يعتبر شعراؤنا الخوض في أحاديث حبهم فضيحة ؟ حبهم الذي
أعمر لنا أشهى ثمار الشعر المصري الحديث ، والقصص المصري
الحديث ، والأدب المصري الحديث ؟

إن امتناع رامي هذه الحقبة الطويلة عن قول الشعر بنسب
نسبته في حبه الذي تجهل أخباره ، يشبه امتناع ناجي عن قول
الشعر تلك الحقبة الطويلة التي تكلمنا عنها حينما كننا نكتب
عنه ، وذلك بسبب نسبته في حبه الذي تجهله كذلك ، والذي
أبي ناجي أن يحدثنا عنه « لأن أوان ذلك لم يؤن بعد » كما قال لنا
مرة ونحن نحاوره في ذلك :

لماذا تجهل حديث حب ناجي ، ونحن نعلم حديث حب شلي ؟
ولماذا تجهل حديث حب رامي ، ونحن نعلم حديث حب قيس ؟
ولماذا تجهل حديث حب علي محمود طه ، ونحن نعلم حديث
حب بودلير ؟

ولماذا تجهل حديث حب العقاد ونحن نلم بأحاديث حب بيرون ؟

وحدة الوجود

والأستاذ دريني خُشبة في مقالة الثالث

للأستاذ معروف الرصافي

كتب الأستاذ دريني خُشبة في مجلة (الرسالة) المصرية ، أربع مقالات متتاليات ، تعقب بها « رسائل التعليقات » للرصافي ، وفند بمض ما جاء فيها من أقوال . ونحن هنا لا نريد أن نعرض لإ مقاله الثالث فقط المنشور في العدد ٥٧٢ من الرسالة . أما مقاله الأول والثاني والرابع فنضرب عنها صفحاً ، لأنها خارجة عن حدود آداب البحث والنقد . والظاهر أنها مكتوبة لغرض آخر غير النقد الذي لا نشك في أن الأستاذ خُشبة يعرف حدوده فلا يتعداها ، كما يعرف حقوقه فيرعها ، وواجباته فيؤديها ؛ إذ وجه فيها إلى الرصافي تهمة هو يرى ، منها ، ونسب إليه أقوالاً لم يقلها ، وكل ذلك يدل على أنه لم يقرأ رسائل التعليقات ، وإنما تصفحها سريعاً بلا إيمان ولا تثبت ، ولم ينقل عبارات الرصافي بنصوصها ، بل ذكرها ناقصة مقتضبة ومشوهة واكتفى بالإشارة إلى عدد صفحاتها ، ولا شك أن الناقد النزيه لا ينظر في المساوي فقط ، بل في المحاسن أيضاً ، وقد تمم في تعابيره القبح والشتم ، مما لا يليق بأقلام النقاد العارفين ، إلى غير ذلك مما يدل على أنه لم يقف فيما كتبه موقف الناقد ، بل موقف الطاعن الخافد ، لسبب لا نعلمه نحن بل هو

وهذا النزول الرقيق الذي يطرفنا به الجارم ، ولا يزال يطرفنا به ، حتى في المؤتمرات الطبية ، ما خطبه ؟ حب من هذه التي لا تزال توحى إلى أستاذنا الجارم هذا النزول الراقص الرقيق يا ترى ؟

لماذا نمدون الكلام في أحاديث القلوب عيباً لا ينبغي ، وأنتم تطرفوننا بكل هذا النزول الجليل العلوي الخالد ؟

لقد حدثنا المقاد في ساره أحاديث ملفوفة عن وقائع قد تكون فصولاً من كتاب حبه

ولقد حدثنا الحكيم في عودة الروح أحاديث مبرقة عن وقائع قد تكون فصولاً في كتاب حبه ، الذي ربما كان عصفور من الشرق وراقصة المبدع وبعض قصصه الأخرى فصولاً منه كذلك

وأما مقاله الثالث المنشور في العدد (٥٧٢) من الرسالة ؛ فإنه قد ترجم فيه للقراء أقوال القدماء من فلاسفة اليونان حول وحدة الوجود كما يزعم هو ، ليثبت بها أن نظرية وحدة الوجود قديمة ، وأنها ليست بأسلامية محضة كما يقول الرصافي

فعل ذلك نقول : كان يجب على الأستاذ أن يذكر أولاً نظرية وحدة الوجود التي يقول بها أهل التصوف كما ذكرها وصورها الرصافي في رسائل التعليقات ، ثم يأتي بعد ذلك بأقوال فلاسفة اليونان ، لكي يعلم القراء أين تقع هذه الأقوال من وحدة الوجود التي ذكرها الرصافي ، ولكنه لم يفعل ذلك ، بل أهمل ذكرها ، فكان ، بسبب ذلك ، قراءة الرسالة في حكمهم كالتقاضى الذي سمع رد المدعى عليه من دون أن يسمع دعوى المدعى . ولا ريب أن ذلك مخالف لآداب البحث والنقد

وانذكر وحدة الوجود التي ذكرها الرصافي في تعليقاته ، ثم تذكر تلك الأقوال وتقارن بينها لكي ترى أين هذه من تلك

وهرة الوجود عند الصوفية

يعبر الصوفية عن ذات الله « بالوجود الكلي المطلق اللانهاي » ويقولون بأنه لا موجود غيره ، وأن هذه الكائنات ما هي إلا مظاهر وصور للوجود الكلي قائمة به ، فليس لها وجود غير الوجود الكلي ، ويشبهون ذلك بأمواج البحر ؛ فكما أن الأمواج ليست سوى مظاهر وصور قائمة بالماء ، وكما أنها لا وجود لها غير وجود الماء ، كذلك هذه الكائنات بالنسبة إلى الوجود الكلي

ولقد حدثنا المازني أحاديثه الطريفة عن مقاماته بمثل ذلك الأسلوب غير الصريح

أما الأستاذ عزيز أباظة فقد كان أصرح أدباء مصر الحديثة وشعرائها جميعاً ، حينما صارحننا بقصة قلبه في ديوانه الباكي « أنات حائرة »

هذا سؤال ألقه في جو مصر الأدبي ، وأرجو ألا يثير زوبعة !

وهذا سؤال ألقه وقد أحسست بالشوك يدمي قدسي وأنا أسير في جنة حب رامى ... هذا الحب الذي خاض الناس فيه كثيراً ، ولم يعرفوا حقيقته إلى الآن .

دريني خُشبة

هذا يحمل ما يقال في تصوير وحدة الوجود التي يقول بها أهل التصوف ويمثلونها بقولهم لا موجود إلا الله وهم فيها مستمدون من الآيات القرآنية، كما هو مذكور بالتفصيل في رسائل التعليقات

ما بقوله في رسالة اليونان

لقد ذكر لهم الأستاذ خشبة أقوالاً كثيرة، وكأها بعيدة عن وحدة الوجود؛ فلا نعرض إلا لأقربها حوماً حول الوحدة التي يقول بها أهل التصوف، وإذا ثبت بطلان هذه ثبت بطلان غيرها بطريق الأولى فنقول:

ذكر الأستاذ في رقم (٥) أقوال (أجرنوفانس) الذي دعا الناس إلى عبادة الله الواحد الذي ليس كمثل شيء، والذي تنزه عن الأعضاء فهو سميع كله سمع، وبصير كله بصر، وعاقل كله عقل ... موجود في كل الوجود، إلا أنه كان يؤمن بأن الله (حال) في العالم، وأنه ليس شيئاً غيره. قال الأستاذ وهو في ذلك أول قائل بوحدة الوجود

فنقول إن القول بالخلول يتناقض بوحدة الوجود كل المناقاة، لأنه بحكم الضرورة يقتضي حالاً ومحللاً فيه. فيكون الوجود وجودين، لا وجوداً واحداً. فكيف يكون الله حالاً في العالم، ويكون ليس شيئاً غيره.

والمصوفية ينكرون الخلول أشد الإنكار، ويرون القول به كفراً بوحدة الوجود، فالعالم عندهم ليس له وجود حقيقي غير الوجود الكلي فهو قائم به ومظهر من مظاهره ليس إلا، وكذلك الموجة في البحر، فإن الماء لا يكون حالاً في الموجة، لأن الموجة لا وجود لها غير وجود الماء. فالوجود واحد، وهو وجود الماء، والموجة لا وجود لها وإنما هي صورة قاعة بالماء.

فإن كان الأستاذ خشبة يرى قول هذا الفيلسوف اليوناني منطبقاً على وحدة الوجود، فهذه ليست بوحدة الوجود التي قال بها الصوفية في الإسلام.

ثم نقل الأستاذ في رقم (١٠) بعض أقوال الذريين من فلاسفة اليونان، فذكر عن (أناجازوراس) أنه كان يقول بتمدد العناصر، وبوجود قوة عاقلة مدبرة حكيمة هي «العقل» تتولى تحريك تلك العناصر، وتوجيهها وجهة عالية صالحة تضمن جمال الكون ونظامه، إلا أنه يعتقد قدم العقل والعناصر على السواء، وأن أحدهما لم يخلق الآخر، وإن حرك العقل العناصر وألف معها وحدة الوجود

فنقول حق لنا أن نتمثل هنا بالمثل القائل: (صرحت بمجدان)، فإن قول هذا الفيلسوف مصرح عن وجودين قديمين. فأى معنى يبق لقوله في الجملة الأخيرة: (وإن حرك العقل العناصر وألف معها وحدة الوجود). وكيف يصح تأليف الوحدة من وجودين قديمين، وكيف يصح من الأستاذ أن يعتبر هذا الفيلسوف قائلاً بوحدة الوجود. نعود هنا فنقول إن الصوفية يقولون بالوجود الكلي المطلق اللانهاى، وإنه لا موجود في الحقيقة سواء، وإن جميع الكائنات ليس لها وجود حقيقي مستقل عن الوجود الكلي، وإنما هي مظاهر للوجود الكلي، وصور قائمة به قيام صور الأمواج بماء البحر.

نسكتفي من تلك الأقوال التي ذكرها الأستاذ بهذين القولين تاركين التعرض لغيرها، لأنهما يحومان بمض الحزم حول نظرية وحدة الوجود، وإن كان بينهما بون بعيد جداً. هذا ما نريد أن نقوله الآن للأستاذ خشبة، وقد بقي أمران لا بد من التعرض لهما، الأول أننا نرى الأستاذ خشبة في مقالاته يتهم الرصافي بأنه: (يدعونا إلى دين جديد). فقل هذا نقول:

إن الرصافي في رسائل التعليقات لم يجيء مقررراً لمبدأ، ولا واضعاً لمذهب، وإنما تكلم عن وحدة الوجود التي قال بها كبار الصوفية من قديم الزمان، فأوضحها وشرح غوامضها، وكشف النقاب عن وجهها، وهو في كل ما قال عنها متجهج مناهج الصوفية الذين يعبر هو عنهم «بفلسفة الإسلام»، سلوا من شتم ممن عرفوا الرصافي من قريب أو بعيد، هل ادعى التصوف أو هل تظاهر به، فانكم لا تجدون من يجيبكم بنعم. على أنكم لو كنتم قرأتم رسائل التعليقات بإحاطة واستقصاء، لعلمتم أن الرصافي يخالف الصوفية في بعض أقوالهم، ويشكر عليهم بعضها، وإن وافقهم في كثير منها، لا سيما وحدة الوجود.

فالرصافي لم يتكلم في رسائل التعليقات عن وحدة الوجود دعاية للتصوف، وإنما تكلم عنها بمناسبة مطالعته كتاب «التصوف الإسلامي» للدكتور زكي مبارك بقصد الاستفادة منه، لأنه منذ أيام الصبا مولع بمباحث التصوف، وإن لم يكن هو من الصوفية.

وإذا كان هذا هكذا فإذا ريد الأستاذ بقوله إن الرصافي

تشكر له ذلك شكراً جزيلاً ، ويكون هو أيضاً في غنى عن اتهامه
إيادهم هذه التهم المفكرة بغير حق

ولا بد أن الأستاذ خشية قد قرأ كتاب التصوف الإسلامي
للدكتور زكي مبارك ، واطلع على ما نقله عن الجبلي من أن الله
هو الهادي وهو المضل ، وأن الضال متحقق بصفة الضلال كما
أن المهتدي متحقق بصفة الهداية ، وأنهما أمام الله سواء ، كما
هو مذكور في رسائل التعليقات أيضاً . وهذا صريح في أن
تساويهما إنما يكون أمام الله ، أي بالنسبة إلى الله ، لا بالنسبة إلينا
إلا أن الدكتور زكي مبارك حفظه الله لم ينتبه إلى أن هذا
التساوي إنما هو بالنسبة إلى الله فقط ، فإذا أخذ في كتابه
يتخوف منه على الشريعة والديانة ، والدولة والقوانين والأنظمة ،
بما هو مذكور في كتاب التصوف الإسلامي ولا حاجة إلى
ذكره هنا . ونحن في رسائل التعليقات قد أوضحنا للدكتور
زكي مبارك أن هذه المخاوف واقعة في غير محلها ، بما لا حاجة
إلى تكراره هنا

ولو أن الأستاذ خشية قرأ رسائل التعليقات واطلع على
ما كتبناه في رد هذه المخاوف ، لما وجه هذه التهم إلى الصوفية
الأبرياء ، ولعلم أن القول بتساوي المتضادات ، لا يصادم أحكام
الشرع ، ولا يستلزم الفوضى ، ولا يجعل الدعاة في الناس
كالنقوى ، ولا الرذيلة منهم كالفضيلة ، ولكن اتباع الهوى ،
هوى النفس هو الذي حمله على هذا التهويل والتشنيع ، حتى نثقل
ما في كفتائه من تهم منسكرة على صدور هؤلاء الأبرياء

ومن المعلوم أنه قد انتسب إلى الصوفية في الأزمنة الماضية
أناس ليسوا منهم ، فكانوا ولم يزالوا في التصوف أدياء ،
وبالصوفية لصقاء ، وكثروا في البلاد حتى كانت لهم الزوايا
والرباطات والختاهاات ، وانتشرت بدعتهم حتى كتب في ذمهم
وتوهينهم ما كتب بعض المتحمسين من علماء الدين كابن تيمية
وابن القيم وغيرها

ولا ريب أن هؤلاء ليسوا من الصوفية في العبر ولا في
النفير ، وقد تكلم عنهم الرصافي في رسائله ونفاهم من التصوف ،
واستخرج نفاهتهم من الصوفية فرماها جانباً ، وقال نحن إذا

يدعونا إلى دين جديد ، وأي دين بمعنى ، وكل من قرأ الرسائل
علم أن الرصافي غير داع إلى شيء ، وإنما هو فيما كتبه هناك
موضح وشارح ومفسر لا غير ، ولكن الأستاذ أراد التهويل
والتشنيع عند العامة فقال هذا القول المخالف للحقيقة من دون
مبالاة ، فالهم غفرا

الثاني : يظهر من الكلمة الأخيرة التي كتبها الأستاذ
خشية في « الرسالة » رداً على رسائل التعليقات ، أنه
يتهم للصوفية أهل وحدة الوجود كلهم ، لا الرصافي وحده ،
بأنهم زنادقة وأنهم إباحيون ، وأنهم مثل القورينيين من تلامذة
سقراط ينشدون اللذة ، واللذة الجنسية الخسيسة على وجه
الخصوص « وأنهم يقولون بأن الهداية والضلال واحد ، وأن
التقى والدعاة صنوان ، وأن المصير واحد » إلى غير ذلك من
الأقوال التي ذهبت مشرقة والصوفية مغربون ، وهم منها بريئون ،
وعنها بعيدون

إن في هذه الأراجيف لدليلاً آخر على أن الأستاذ لم يقرأ
رسائل التعليقات ، بل صر بها الخطأ ، فثارت به محيطة الدينية ،
لا ثقافته العلمية ، فأخذ يقول هذه الأقوال جزافاً ، ويرمي
السلام على عواهنه رمياً من دون تأن ولا تثبت

ولنتظر في الذي دعا الأستاذ إلى هذه التهم ما هو ، فنقول :
لما كان الصوفية يقولون ، كل ما وقع في هذا الكون فهو
حق ، وأنه لا باطل إلا المحال كما هو مذكور في رسائل التعليقات ،
تساوت عندهم المتضادات ، فالشر كالخير والضلال كالهدى
كلهما حق ، لأنه واقع ، ولو كان باطلاً لما وقع ، لأن الباطل
هو المحال الممتنع الوقوع . ولكن هذا التساوي في المتضادات ،
إنما هو بالنسبة إلى الوجود الكلي أي إلى ذات الله ، لا بالنسبة
إلينا ، فذات الله في رأيهم لا يسدر عنها الباطل ، بل كل
ما صدر عنها فهو حق ، وهم يستدلون على ذلك بآيات من القرآن
كما هو مذكور في رسائل التعليقات

فإذا كان الأستاذ خشية يشكر عليهم هذا الرأي فما عليه
إلا أن يذكر دليلهم ، ثم ينقضه بدليل مثله أو خير منه ، وأن
يفسر لنا الآيات التي استدلوا بها تفسيراً يبطل به رأيهم ، وحينئذ

على هامش ذكرى المعري

«داعى الدعاة» مناظر المعري

للدكتور محمد كامل حسين

- ٣ -

استجاب ابن صالح الردامى صاحب حلب دعوة المؤيد؛ فدخل المؤيد حلب ومعه خزائن الأموال والسلاح والخلع ومكث مدة يستريح ويدبر أمراً هو مقدم عليه، ثم أخذ يرسل الكتب إلى أمراء العرب والأكراد يستميلهم إليه وإلى المذهب الفاطمى ويدعوهم للقيام لنصرته ضد طفرالبك؛ فاستجاب له بعضهم مثل ابن مروان صاحب ديار بكر وابن الأحزم الخفاجى صاحب الكوفة وابن قائد صاحب واسط ووعدوه جميعاً بإمداده بالجنود كما أقاموا الدعوة في بلادهم باسم المستنصر الفاطمى، وقد حفظ لنا المؤيد في سيرته نص رسائله إلى أمراء العرب وجوابهم له مما يجعل «السيرة المؤيدية» وثيقة تاريخية لها قيمتها لمن يدرس العالم الإسلامى في القرن الخامس من الهجرة

سار المؤيد ومعه خزائنه وجيوش ابن صالح حتى بلغ الرحبة

قلنا الصوفية فلا نمنى بهم هؤلاء وإنما نمنى بهم رجالاً من الأصفياء الأبرار، أولى النفوس الزكية والتفكير الحر، القائلين بوحدة الوجود

ولكن الأستاذ خشية قد أبى ضميره المدفوع إلا أن يخلط هؤلاء بهؤلاء، ويحملهم كلهم فئة واحدة، ويوسمهم ذماً وثلباً، لا سيما القائلين بوحدة الوجود، فإنه قد شدد عليهم التنكير، وشتع عليهم قولهم بوحدة الوجود كل تشنيع، وعبر عنهم بالأنجاس، ولم يستثن منهم أحداً حتى الجنيد وأمثاله ممن تقدم عليه أو تأخر عنه. ولم يكتف بذلك حتى أخذ يذكر قراء الرسالة بما كتبه علماء الدين في الماضى من ذمهم وتوهماتهم، كأن ذلك كأقوال القدماء من فلاسفة اليونان، شئ لا يعلمه أحد إلا الأستاذ خشية

ومما يدعو إلى الحيرة والمعجب، أننا لم نرى الأولين ولا في

حيث البساسيرى وجيوشه، وخرج البساسيرى ومعه أمراؤه للقاءه، وفي ذلك يقول المؤيد «إلى أن لقينا أبو الحارث البساسيرى والمسكر البغدادي على رحلتين من الرحبة، وإذا هم قد ضربوا مصافهم وضرب خيلنا مصافه؛ فرأيت المسكر تلاحق ميمنة نحو الجبل وميسرة طرف الفرات، وسمعت الأبواق تخرق الحجب بالأصوات، ورأيت أقطار الهواء كأنها صبغت حمراء وصفراء من أصباغ الرايات، ودخلنا الرحبة دخولاً عليه من آثار السعادة وسم، وتجاوزناها إلى شاطئ الفرات فنصبنا الخيام ووسطت جميعاً جمع كل قاطع زقاق، وكل جلال من الناس ودقاق، تراموا إلى تلك البقعة من كل آفاق تركى وكردى وعجمى على اختلاف الجنس وعربى من كل طامع ذى ناب من الطمع حديد»

أخذ المؤيد بعد ذلك اليهود والموائيق على الأمراء، وخالع عليهم الخلع الفاطمية النفيسة التي لم يشاهدوا لها مثلاً، ووهب كل فريق نصيبه من الأموال؛ فكان بعضهم يأخذ نصيبه شاكرًا، وبعضهم كان يستقل القدر ويرده طمعاً في المزيد، وتذمر أكثر الجنود وطالبوا بزيادة العطاء، وانتشرت دعاة السوء بينهم، فحاول المؤيد أن يرضيهم بالحسنى فلم يوفق. وأخيراً اضطر إلى أن بأنهم وأن يسامحهم باليمين التي أقسموها بين يديه

الآخرين من اتهم الصوفية بأنهم إباحيون يطلبون اللذة الجنسية الخسيسة في جميع أحوالهم، حتى جاء الأستاذ خشية فافتأت عليهم هذا الباطل الذى ليس فوقه من باطل

إن الكلمة الأخيرة من الأستاذ خشية قد هتكت لنا ستار ضميره، وكل ما قاله عن رسائل التعليقات يدل دلالة واضحة على أنه لم يكن نافداً، بل كان مشوهاً ومشتبهاً، فهل كان هذا منه بدافع من محمسه الدينى، أو كان بدافع آخر. وإلا فليس من آداب البحث والنقد، ولا من العقول، أن يهرف (أ) برسائل التعليقات كل هذا (المهرف أ) من دون داع إليه وآخر ما نقول، هو أن الرصاصي إنما يكتب للحقيقة، لا لأغراض أخرى، فإن أصاب فله المن والفضل، وإن أخطأ فأجره من الله مأمول، وعذره عند كرام الناس مقبول.

(الرصاصي)

وأظهروا أن الأمر إنما هو أمر الدين قبل كل شيء؛ فعادوا جميعاً يعتقدون إليه وجددوا التمين بين يديه، وبعد أيام دعا أبا الحارث البساسيري وخلع عليه وقرأ عهده على الناس في يوم مشهود. ثم علم المؤيد أن نور الدين بن مزيد الأسدي وهو رجل للعرب إذ ذاك وأكبر أمراءهم قد تقم على طغربك، فانهز المؤيد هذه الفرصة وكتبه ليجثه على اللحاق به والانضمام إليه؛ فذهب ابن مزيد إلى الرحبة ومعه جماعة من العلماء والأمراء، وأخذ يفرض المؤيد في شروط الانضمام إليه وتحالفه معه، كما أرعز ابن مزيد للعلماء بمناظرة المؤيد أمامه في بعض المسائل الدينية والمؤيد مضطر إلى أن يصطلع الصبر، وأن يدهن ابن مزيد ومن معه، حتى قبل ابن مزيد بعد لأي أن يقسم يمين العهد بين يدي المؤيد؛ فكتب المؤيد له العهد ولفه «بالأمر سلطان ملوك العرب سيف الخلافة صفي أمير المؤمنين»، ومع ذلك كله أخذ ابن مزيد يطالب المؤيد بأمر من شأنها أن تقسم الجيش وتبعد ابن صالح والمؤيد يقابله بشيء من المكر والدهاء، ويحاول أن يسمي بين ابن صالح وابن مزيد، ولكن سفيه (كان سمي امرئ بن ضباع تهارش، وذئب تتجارح وتجارش) فالجيش كما قلت كان من أجناس مختلفة ومذاهب متباينة تدب فيه روح التشاحن والتباغض، مما جعل المؤيد يصبح ويمسى في التوفيق بينهم، وفي ذلك يقول المؤيد «وكنيت أصبح وأمسي في أبواب من انقطعت به الحبال، وضاعت على يده الأموال، وضاعت به من الهم السهول والجبال، غير أني أظهر في خلال ما أقاسيه جلدًا، ولا أشمرت بمجازات صدرى أحداً، وازداد الأمر سوءاً بورود نجدة من دمشق من بعض الأمراء الكلابيين الذين سرعان ما ضجوا وتذمروا زعمًا منهم بأنهم جردوا على أن يشهدوا بجيش القبائل العربية خارجاً عن جماعة الأتراك والأكراد، فاضطر المؤيد إلى أن يغريهم بالأموال الجزيلة، وأن يضاعف عطاءاتهم، فساروا مع باقي الجيش إلى أن ظفروا بالانتصار على جيوش طغربك في رمضان سنة ٤٤٨ في موقعة سنجار، وهي الموقعة التي أشار إليها ابن حيوس الشاعر بقوله:

عجبت لدعي الآفاق ملكاً وغابته ببغداد الزكود
ومن مستخلف بالهون يرضى يذاد عن الحياض ولا يذود

وأحب منهما سيف بمصر تقام به بسنجار الحدود
وبانتصار المؤيد في هذه الموقعة استطاعت جيوشه أن تدخل الموصل في شوال، واستطاع كذلك بعض الأمراء الذين تردوا من قبل في مخالفة المؤيد أن يسارعوا بالانضمام إليه وشد أزره، وأن يقيموا الدعوة في بلادهم باسم المستنصر الفاطمي صاحب مصر ولكن الجيش عاد إلى الانقسام وانفصل عنه بنو عقيل، وتبعهم عدد كبير، وانهز طغربك هذه الفرصة فأسرع للانتقام منه، كما أن الكندري وزيره أخذ في الاتصال بالأمراء الذين انضموا للمؤيد، وأخذ الكندري يمدعهم ويمنهم بالولايات المختلفة فاستجاب له بعضهم، ولما رأى البساسيري حالة جيشه اضطر إلى الحرب؛ فتشتت بذلك شمل جيش المؤيد الذي كان في الرحبة، وكان يظهر للناس جلدًا ويشجعهم ويقوى من نفوسهم ويحاول لم شعثهم. أما في قرارة نفسه فكان كما وصف نفسه، «وأنا في باطن أمرى متكفن متخبط أنتظر نخب الأيدي لي من كل مكان، وأجمع أمرى على أنه إن دهمني ما أحذره رميت بنفسى في جانب البر؛ فلا أزال أضرب فيه إلى أن يحضرني حاضر الجوع والتعب والعطش فأهلك، وإن أدركني طالب من جهة العدو آيت أن أعطيه قيادي دون أن أقطع قطعة قطعة تغادياً من أن أقاد إليهم حياً». وأمر المقربين إليه بالابتعاد عنه، أو الحرب من الرحبة خوفاً عليهم من سطوات العدو. وأخيراً اضطر المؤيد نفسه إلى أن يهرب من الرحبة؛ فدخل حلب سنة ٤٤٩ ومكث بها يترقب ويكتب الأمراء والقواد، وفي حلب ناظر المرى في مسألة تحريم أكل اللحوم، وهي المناظرات المتداولة المعروفة. وسنة تحدث عنها فيما بعد.

أخذ المؤيد في إرسال الرسائل للأمراء يستميلهم إليه مرة أخرى، ويمدحهم النصير على أعدائهم، وكان على صلة بالبساسيري الذي لم ييأس، بل جمع إليه بعض الجند، وكتب المؤيد يطلب مقابلته دون أن يظن أحد إلى هذا اللقاء، فتقابل في دير حافر، (وهي قرية بين حلب وبالس)، واتفقا على الخطة التي يجب أن يسيرا عليها حتى ينجح مسعاها. ثم جاء إلى المؤيد وفد من قبل إبراهيم بن نبال يطلب في الظاهر الخضوع لطغربك، وفي الباطن يطلب من المؤيد أن يخلع على ابن نبال، ويلقبه إنداد.

القاهرة فأسقط في يد الورير ولم يدر ماذا يصنع .
يخيل إلى أن المؤيد لم يجد من الوزير المغربي ما كان أهلاً له
وما يجدر بمثله ، ولكن الوزير اضطر إلى أن يكل إلى المؤيد أمر
الدعوة ، وبذلك أصبح المؤيد حجة الدعوة وداعيتها المطلق راقب
« بالرئيس الأجل عصمة أمير المؤمنين » . وبذلك وصل المؤيد
إلى ما كانت تصبو إليه نفسه وبلغ أعلى درجات الدعوة الفاطمية
فقد أصبحت مرتبته نلى مرتبة الإمام مباشرة ، ولسكنها مرتبة
روحية قبل كل شيء ، وليس لصاحبها أن يتدخل في شئون
السلطة التنفيذية

لا أستطيع أن أحدد المدة التي مكثها المؤيد في هذه المرتبة
ولم يحدثنا أحد من المؤرخين عنه ، ولم يحدثنا هو نفسه عن حياته
بعد سنة ٤٥٠ هـ ، وكل الذي وصلنا أن الوزير عبد الله بن يحيى
ابن المدبر (الذي تولى الوزارة مرتين إحداهما في سفر سنة ٤٤٣ هـ
وصرف عنها بعد شهر ، والأخرى في ربيع سنة ٤٥٥ هـ وتوفي
عنها في جمادى الأولى من هذه السنة) قد طلب إبعاد المؤيد من
مصر ونفيه إلى الشام فسير المؤيد إلى الشام وعاد إلى مصر بعد
مدة ، ولا أدري متى كان ذلك ، ولا أشك أن المؤيد أصبح له
بعض النفوذ في مصر حتى خشي الوزير سطوته ونفوذه ، فافترح
بإبعاده عن البلد ثم رأى بعد ذلك شيئاً من نفوذ المؤيد إذ تولى
صنيعته وكاتبه ونائبه في ديوان الإنشاء أبو الحسن بن الأنباري
الوزارة سنة ٤٥٧ هـ ومع ذلك كله حياة المؤيد بعد سنة ٤٥٠ هـ
غامضة أشد الغموض إلا ما كان من أمر علاقته بقاضي قضاة
الدين لك بن مالك الذي جاء مصر على رأس وفد من علماء الدين
ومكث في دار المؤيد خمس سنوات وأخذ عنه كل علوم المذهب
الفاطمي ، وعاد إلى بلاده يبشر بآراء المؤيد وعلومه ، وسنتحدث
عن ذلك فيما بعد . ولا تختلف المصادر في أن المؤيد توفي سنة ٤٧٠ هـ
ودفن في دار العلم بالقاهرة وصلى عليه إمامه المستنصر الفاطمي .

دكتور

محمد عبد الحليم

بكلية الآداب بالقاهرة

(ينصح)

بمغربك ، وشايع المؤيد وملاك البلاد باسم الفاطميين ، فرحب
المؤيد بذلك ، وأمر البساسيري بالرجوع إلى الرحبة ، وتمت
الواحدة بالنجاح ، إذ استطاعت جيوش البساسيري أن تدخل
بغداد سنة ٤٥٠ هـ . وأن يدعى على منابرها باسم المستنصر
الفاطمي ، وأن يأسر القائم بأمر الله العباسي ، وأن يصلب
ابن المسلمة وزيره عدو المؤيد القديم الذي أرسله الخليفة العباسي
لأبي كاليبج البويهى لإخراج المؤيد من شيراز ، وقد أظهر
المؤيد شيئاً من الابتهاج بصلب هذا الرجل ، وظهر ذلك في شعر
المؤيد بقوله :

وعبوس يوم لابن عباس به لاقى الردى متشخصاً لميانه
إذ بات يعثر في ذبول مذلة يمتاض ضيق الحبس عن إيوانه
وأرى على الصاري ابن مسلمة الذي

ضجت فم الإسلام من عدوانه
فسمى الإله سجال رحمة ترى قبر نوى فيه أبو عمراته
إن ابنه كم من مقام قامه صعباً ثبت جنبانه ولسانه
في رفع رايات النبي وآله وضرايه لعدائهم وطعانه
واتجه المؤيد إلى مصر ، وفي الطريق قابله صاحب البريد
ومعه أمر من الوزير المغربي بأن يعود المؤيد إلى حلب ؛
فدهش المؤيد من هذا الأمر وأخذ يفكر فيه ، وأخيراً
استقر رأيه على أن يواصل سيره إلى مصر ، ولكنه
فوجئ بأمر ثان كالأول فلم يأبه به وواصل رحيله . فإذا بأمر
ثالث مما جعل المؤيد في حيرة من أمر هؤلاء الذين يحاولون
منعه من دخول مصر بعد هذه الخدمات التي أداها لهم ، وبعد
أن نشر دعوتهم وبسط سلطانهم في قلب أملاك العباسيين ، بل
بعد أن أزال سلطان العباسيين من عاصمة ملكهم وبعد أن أسر
الخليفة العباسي نفسه ، وبالرغم من وصول هذه الأوامر إليه فقد
أصر على دخول مصر وخشى أن يتخذ في سيره إلى مصر الطرق
المألوفة فيفاجأ بمثل هذه الأوامر ، لذلك عمد إلى أن يتخذ طريقه
في الجاهل ، وسار إلى مصر متفكراً في رحلته إليها ، كما جاءها
متفكراً في رحلته الأولى ، فاشعر به أحد حتى رآوه على باب

على هامش المرائس والسياطين

الطبيعة

في الشعر العربي والشعر العالمي

للأستاذ سيد قطب

أثارت مجموعة «عرائس وشياطين» التي اختارها الأستاذ المقاد من الشعر العالمي - وما زالت تثير - في نفسي موازنات شتى بين الشعر العربي والشعر العالمي في الاتجاهات العامة والخصائص الذاتية، وهذه الموازنات - كما قلت - ضرورية للجيل الجديد من الشعراء، يرى على ضوءها كيف يحسن أن يكون اتجاهه في الالتفات وطرائق التعبير، لا على سبيل التقليد والمحاكاة، ولكن على سبيل الاستفادة والتوجيه. ولهذا سأخرج في مقال اليوم قليلاً عن (المرائس والسياطين) فيما اختاره من النماذج العربية والعالمية

يخيل لي من مجموعة الشعر العربي أن (الطبيعة) لم تكن إلا قليلاً - متصلة بإحساس الشعراء العرب اتصال الصداقة والآلفة - بل اتصال المجموعة الحية - فهي في الغالب صلة عداة يمثلها قول الشاعر:

وركب كنت الريح تطلب عندهم

لها «رّة» من جذبها بالمصائب
وإن كانت هذه الظاهرة العامة لا تنفي الأحاسيس المفردة لبعض الشعراء حينما تختلف البيئة كقول حمدونة الشاعرة الأندلسية:

وقانا لفحة الرمضاء واد سفاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنن الرضعات على القطيم
وأرشفنا على ظاه زلالا ألد من الدامة والنديم
وكأبيات المتنبي المعجمة في وصف شمع بوان وفيها ذلك البيت الجميل

يقول بشف بوان حصاني أمن هذا يسار إلى الطعان ١٢
وظاهرة أخرى تغلب في الشعر العربي، وهي الإحساس بالطبيعة عند ألفتها كأنها منظر يوصف أو يلتذ، لا شخصاً تحيا، وحياة تدب. والموضع التي أحس فيها الشعراء العرب بالطبيعة هذا الإحساس الأخير تكاد تعد. فنحن إذا استثنينا - ابن الرومي - وكان بدءاً في الشعر العربي كله، لا نكاد نعتز إلا على أبيات ومقطعات يحس الشعراء فيها هذا الإحساس على تفاوت في قيمتها الفنية. نذكر منها على سبيل المثال قول مسلم ابن الوليد:

تمشى الرياح به حسرى مرهقة حيرى تلوذ بأكناف الجلاميد
وأبيات البحتري في وصف الربيع التي مطلعها:

أناك الربيع الطلق يخفّال ضاحكا

من الحسن حتى كاد أن يتسكها
وقول ابن خفاجة الأندلسي في وصف جبل:

وأرعن طماح الذؤابة شامخ بطاول أعنان السماء بنارب
وقور على ظهر الفلاة كأنه طوال الأيالي ناظر في العواقب
أصنعت إليه وهو أخرس صامت فحدثني ليل السرى بالمجائب

وفيما عدا ابن الرومي وتلك الأبيات والمقطعات التي ضربنا لها هذه الأمثلة تكاد الطبيعة في الشعر العربي (تستعمل من الظاهر) ؛ فهي مناظر جامدة للوصف الحسي والتشبيه بالمحسوسات، تملو في سلم الفن، حتى تكون كأبيات المتنبي في شمع بوان، وتسفل حتى تصل إلى تشبيهات ابن المعتز جميعاً! وظاهرة ثالثة: هي أن الطبيعة في الشعر العربي قد تحيا وتدب ويحس الشاعر بما يضطرب فيها من حياة، ويلاحظ خلجاتها ويحس نبضاتها، كما يصنع ابن الرومي في بدائمه. ولكنه هو لا يندمج في هذه الطبيعة، ولا يحس أنه شخص من شخصها وفرد من أبنائها، وأن حركته من حركاتها، ونبضه من نبضاتها، وأنه منها وإليها، وأحاسيسه موصولة بأحاسيسها

فإن الرومي حين يقول:

لم يبق للأرض من سرنا كتمه إلا وقد أظهرته بعد إخفاء
أبدت طرائف وشي من أزهارها
حمرأ وصفرأ وكل نبت غبراء

أو حين يقول :

رياض تخاليل الأرض فيها خيملاء الفتاة بالأبرار
منظر معجب تحية أنف ريحه ربح طيب الأولاد
إنما يبلغ في هذين المثاليين وفي غيرها أبدع ما يبلغه الشعر
العربي من الإحساس بحياة الطبيعة ، ولكنه يبقى في منتصف
الطريق بين هذا المدي ، والمدي الذي يبلغه الشعر العالمي عند
بعض الأمم في الاتصال بالطبيعة اتصال الفرد بالأسرة والخلية
بالجسم الحي ، والذرة الصغيرة بالكيان الكبير

فها هي ذي الشاعرة الإنجليزية المعاصرة « روث بتر » ،
تقول في مجموعة المرائس والشياطين ، للموت :

لا تناديني والصيف مشرق أيها الموت !
إنني في الصيف لن أجيب النداء
حين يوسوس العشب ويتمايل بأعطافه
لا ترفع إلى صوتك بالنداء من تلك الظلال السفلى
« حين يحن الصفصاف ويتفرق الماء
حين يتوأن الجدول وينفس الهواء
حين يتموج اللبلاب على الأسوار
لا تنادني . قلت لك لا تنادني أيها الموت في ذلك الأوان
إنك عبتا تنادي وترفع الصوت بالنداء
ففي إبان الأزاهير النامية ان أصنى إليك »

« لكنني سأصنى إليك حين يتجرد كل حال وحالية
ومرحباً بدعائك حين ينتثر الورق من الشجر على تراه
حين يسمع للسفوح خفيف في العاصف المهتاج
حين يشم الرعاة من الشرق رائحة الثلوج
حين يهجر الحقل للريح تتولى حصاده
حين يصبح الإعصار خطاب الوادي الذي يطيح بأعواده
حين يصبح البرد بذرة الأرض التي تنثرها السماء
حين تنفر من كل شيء ولا نتوق إلى شيء
ناد يومئذ يا موت ولك الإصفاء والترحاب
فيومئذ أسمع وأنفض وأمضي ! »

وليس لدينا من الفراغ ما نقف به على مواضع الجمال الجزئية

٢٣ - ٨

في تصوير الطبيعة في الصيف إبان الحياة ، وفي الشتاء إبان
الموت ، ولا في تصوير وسوسات الحياة ووساوس الموت هنا
وهناك : « حين يوسوس العشب ويتمايل بأعطافه . وحين يحن
الصفصاف ويتفرق الماء . وحين يتوأن الجدول وينفس الهواء » ،
أو : « حين يسمع للسفوح خفيف في العاصف المهتاج . وحين
يصبح الإعصار خطاب الوادي الذي يطيح بأعواده . وحين
يهجر الحقل للريح تتولى حصاده » ... الخ . فهذه جزئيات قد
تخطر للشعر العربي ، ولا سيما لابن الرومي

ولكننا نتجاوز هذا إلى الظاهرة الكبيرة الجامعة في هذه
المقطوعة . تلك هي شعور الفتاة بأنها لا تستطيع أن تموت
والطبيعة في فصل الحياة ، ولن تلب الموت إذا دعاها ، لأن
الطبيعة حولها حتى وهي خلية حية في هذه الطبيعة النامية .
أما حين يدب الموت في الأم الكبيرة . فهنا يحس أبنائها
أن لا مانع من إجابة دعاء الموت ، وذلك « حين تنفر من كل شيء
ولا نتوق إلى شيء » ، وحين يدب الموت من الداخل تسهل إجابة
النداء من الخارج

وفي القطعة مجال لتصوير « المرأة » التي تحسب الموت طوع
ورغبتها ورغبات الحياة النابضة في قلبها كأما الطبيعة ، فهي
تناديه أن ينصرف عنها الآن ، كما تنادي الخطيب والحبيب في
تمنع وإدلال ! ولكننا معجلون عن الإفاضة في هذا إلى إيضاح
الظاهرة الكبيرة الجامعة في قطعة أخرى لفتاة جديدة !
« لاورنس هوب » الاسم الرمزي لشاعرة إنجليزية معاصرة أيضاً !
إن رفيق الحياة يدعوها . . . وإنها لترغب في إجابة دعوة
الحب والحياة . ولكن الطبيعة حولها حزينة والليلة شاتية ،
وإنها لشعر أنها هي وهو ونمرة هذه الاستجابة إنما هم جميعاً
خلايا في هذا الجسم الحي ، وأن هذا الحزن الذي يدب في حنايا
الطبيعة سيتسرب في « الروح الهائمة على أعتاب الدنيا تستجد
فيها جثائها » . فتنشأ الثمرة وفيها من هذا الحزن قطرات .
فلتؤجل الدعوة إذن إلى حين تكون الطبيعة كلها في فرح
صباح :

« لا ... غير هذه الليلة ! »

إن الطر يقطر حزينا وانينا ...

عبرات أمى تحت سماء شجية

وعلى البعد « ابن آوى » هزبل خافت العواء

يزيد الفسق وحشة وعزلة

« النهر الدافق يتقدم إلى البحر بهمة الشكوى

والظلال تؤوى إليها الوسوس الخفية

وعيناي ترنوان نحو عينيك ابتغاء عزاء

فتلقاهما الأهداب مبللة بالدموع

« إن الروح الهائمة على أعتاب الدنيا تستجد فيها جثمانها

إن دخلت من خلال قبالتنا إلى حظيرة الحياة

ورثت كل ما فى قلوبنا من أمى

وكل ما فى الطر المنحدر من شجن مكظوم

« لا . حين تشتهي استجابة الحب الكبرى

أقبل إلى « الصباح يرتع فى الأنوار

والبلابل من حولنا مشوقة تصدح بالغناء

بين الورود من حمر وبيض

« وكذلك حين يقضى الله لى تلك الفريضة الحلوة القدسية

مذعنة لمشيته الإلهية

كى أمنح الدنيا صورة من جالك

لأسلمها إذن إلى الدنيا ومعهما فرحى فيك »

فهذه شاعرة وامرأة . يبدو فى مقطوعتها طريقة إحساسها

بفرح الطبيعة وحزنها ، وتبين الوشائج الحية بينها وبين هذه

الأم الكبيرة ؛ وهذه هى الظاهرة التى تريد إبرازها . ولكن

هذا لا ينسبنا أن نقف صرتين أمام موضعين من مواضع الإبداع

فى القصيدة :

الأول : طريقة الإحساس بحزن الطبيعة وفرحها : فالطر

« الذى يقطر حزناً وانياً عبرات أمى تحت سماء شجية » يجتمع

إلى « ابن آوى هزبل خافت العواء على البعد » فيزيد الفسق

وحشة وعزلة . و « النهر الدافق يتقدم إلى البحر بهمة

الشكوى » يجتمع إلى « الظلال تؤوى إليها الوسوس الخفية »

وكلاهما يجتمع إلى « عينها ترنوان نحو عينيه ابتغاء عزاء فتلقاهما

الأهداب مبللة بالدموع » . ثم فى الوجه الآخر : « الصباح

يرتع فى الأنوار . والبلابل مشوقة تصدح بالغناء » وكلمة « مشوقة »

خاصة فى هذا المكان إنها لوحة متناسقة الألوان أو سيمفونية

متوافقة الألحان بين الطبيعة وأبنائها الجميع

والثانى : تلك الكناية الدقيقة البارة عن « الروح الهائمة

على أعتاب الدنيا تستجد فيها جثمانها » وعن « استجابة الحب

الكبرى » التى ترتفع بها وترتفع حتى تحملها « الفريضة الحلوة

القدسية التى يقضىها الله » . إنها كناية امرأة . وامرأة تحب .

وامرأة شاعرة تجتمع كلها فى سياق !

وقد توجهنا حتى الآن فى الموازنة بين الشعر العربى والشعر

المالى إلى شعراء الغرب فى مجموعة « المرائس والشرائط »

وبخاصة الشعراء الإنجليز ، فلنتوجه نحو الشرق أيضاً فى هذه

الموازنة فى الشرق البعيد ، وفى مصر الفرعونية مثل نتقدم بها

مطمئنين

يقول الشاعر الصينى « يوان مى » من شعراء القرن

الثامن عشر الميلادى بعنوان « زهر الصفصاف » :

« أزهار الصفصاف كنديف الثلوج ... إلى أين ؟

أين تمضى جوعك الضالة مع الريح ؟

« قلما نبألى . وأقل من ذلك ما ندرى !

إنما سبيلنا من سبيل الهواء

حياتنا فى دواماته العاصفة

وموتنا فى الهاوية هناك »

فهذا إنسان يحس بنفسه وبالناس كزهرة أو أزهار

للصفصاف . « سبيلهم جميعاً من سبيل الهواء . حياتهم فى دواماته

العاصفة وموتهم فى الهاوية هناك » . فيزيد على إحساس الغربيين

بالاندماج فى الطبيعة ، تلك الصوفية الغينية ، طابع الشرق

الجميل العميق البسيط الذى لا يكاد يبدو فى الشعر العربى

وفى المجموعة قطعة أخرى للشاعر نفسه فيها هذه الصوفية

وسأقطع الخبز وأصب النبيذ
سأطفئ لك الأزهار النضرة

« في يوم هذا العيد السعيد
ستكون سيدتي وحدها مع حبيبها
آه . سأصمت عما أرى
ولا أنفوه بما سمعت ! »

إن إحياء الطبيعة والاندماج في حياتها ، كلاهما مرحلة بعد
أخرى . وكلاهما في حاجة إلى رصيد ضخم مذكور من الحيوية
الباطنية . وقد كانت حيوية العرب حيوية حس تنفق أولاً بأول
في الانفعال القريب والحركة المباشرة ، والعمل المنظور . فلم يبق
في نفوسهم ذلك الرصيد المذكور في الباطن للتأملات والتصورات ،
التي هي أعلى وأعز ما في الفنون . ولعل في هذا تليلاً لعدم نمو
القصة الفنية في الأدب العربي إلا على نحو قريب من الحكاية والخبر
والكلام في هذا الموضوع يطول . وليس هذا المقال موضعه
على كل حال .

سيد قطب

الرقية وبجانها إحساس المودة الصادقة بينه وبين الطبيعة التي
تداعبه نسائمها وترسل عليه زحاما من العطور وتبسم في وجهه
وهو لا يدري من زحمة العطور عليه عطر الورد من عطر البشنيين :

« على ضفة الجدول القرني

تطيف بي الأحلام في النفس المزبوق

وتداعبني نسائم الربيع

فترسل علي زحاما من العطور

وتبسم في وجهي حين لا أدري

عطر الورد من عطر البشنيين »

ونتجاوز مجموعة « المرائس والشياطين » لنقع على أغنية
مصرية قديمة حيث : « تدعو شجرة الجيز فتاة إلى موعد حب
تحت ظلالها ، واعدة أن تكون أمينة على أسرارها ! »

وفي الموضوع كما ترى تلك الصداقة الحلوة بين شجرة الجيز
وبين الحبيبتين ، حيث نشترك الطبيعة في مباركة الحب . فإذا
أضفنا إلى ذلك أن شجرة الجيز كانت مقدسة عند المصريين
لأن إلهة « الخصب » « حانحور » كانت تسكنها وترسم مظلة
بين فروعها ، زاد الموضوع قوة . فليست الطبيعة وحدها هي
التي تبارك الحب بل الآلهة أيضاً ، وإلهة الخصب بنوع خاص !
وهذه المفطورة مترجمة ترجمة حرفية ربما ذهبت بالكثير
من جمالها ولكنها تفي بالفرض الموضوعي :

« غنت شجرة الجيز إلى فتاة جميلة

وكانت كلماتها تتساقط كقطرات الشهد

فأصبح الثمر الذي أحمله بلون الياقوت الأحمر

وكل ما في تعريشتي لأجلك

« إن أوراقك تزدان بلون خضرة البردي

وفرعى وجذعى لها بريق عين الحر

تعال تحت ظلي الرطب

ليستريح حلم قلبك الذي به تحلمين

« سترسل سيدتي رسالة حب

إلى الشخص الذي سيكون سعيداً

قائلة : احضر إلي حديقتي قليلاً

واجلس معي في ظلي

سأجني لك الفاكهة لسرورك

ظهرت لأول مرة بمناسبة العيد الألفي للفيلسوف أبي العلاء المعري

رسالة الهناء

لأبي العلاء المعري

جزءان في سفر واحد

شرح وتحقيق الأستاذ الكبير

لأمير كيموري

الذي حبب الأدب العلاءي إلى كل قارئ

كما حبب القراءة إلى كل ناشئ

التمن ٣٥ قرشاً صاغاً - ولابريد ٦٣ مليماً

بطلب من الناشر

دار الكتب الوطنية

بميدان الأوبرا - ت ١٩٥٦١

وفي السودان من مكتبة

كردفان بالآبيض

من أدب الزراعة

الخط الأول...

لصاحب العزة محمد محمود جلال بك

لثمانية أعوام خلت كنت إذا مررت بناحية معينة من زراعتي أشعر فجأة بنسبه صدمة بمقها شيء من الاستئزاز ، إذ تقع عيني بين نضرة النبات على بقعة جرداء . وحتى في الأوقات التي لا تسكنني الأرض بحلة من زرع كنت أرى في لون التربة معنى من الجذب ولوناً من الإهمال . كنت أراها كأن يفسد معروف الرجال ، وتجاور هذه البقعة مقابر « الشيخ عطا » ؛ فكأنما تفصل بين الدنيا والآخرة . وكم آلتى منظرها ، والفلاح كالفتنان يجد أذى في النشاز ؛ فهذا يسره اتساق المزروعات مرأى ، وذلك يكره تنافر الألوان ، أو إهمال التنسيق في ناحية من نمثاله

وقلت مرة إن إصلاحها يأخذ بيد أهل الدنيا ، ويرفه الجوار لسكان هذه المقبرة كان ذلك سنة ١٩٣٦ ومنذ يومين مررت بها كأى مرور مما يحدث مرتين في الشهر على الأقل . ولكن ما أدرى كيف سيج الخيال إلى عام ١٩٣٦ ، ولم رجعت الذاكرة سراعاً إلى ما كان ؟

نظرت فإذا الحقل ضمن زراعة القطن هذا العام ، وإذا الحقل يمتد في نظام ونضرة واتساق إلى آخر حدود المقبرة ! تلفت إلى ناظر الزراعة عن يميني ، وتلفت القلب إلى صفحات تنشر من عمر مضى ، وكادت تشغل الصحف كل البال ، وتفر في طياتها الحاضر . ثم تيقظ العزم وتيقظ الحاضر ؛ فتساءلت : أين القطعة التي عملنا على إصلاحها ؟ قال : هي تلك ! مشيراً بيده : انظر ، لقد أصبحت أخصب ناحية في زمام القطن . . . الجوار !

وهل زرعت لحسابنا ؟ قال : كيف ! لقد تقاطر الراغبون

حين فراغنا من عملية الإصلاح ، وإلى لأذكر كيف كانت مطمح النظر لأول (خط) رسمه الحراث فيها

وفي الشهر الماضي زرت صديقي وأستاذي صاحب الرسالة ، وفي حديثنا أشار بلفظه المذنب وأسلوبه الصافي عاتياً على انقطاع كتابتي قائلاً : أهكذا لا شيء من نظمك ولا شيء من تترك ؟ إني غاضب حقاً . لم يكن ردى غير اعتذار ووعده بإعادة ما كان بيني وبين الرسالة

ولست أخفى على قراء « الرسالة » أنى تهيبت العودة إلى ساحتها ، وكل ما فيها رشيق دقيق . تهيبت تهيب من يخشى لأمانته حسن قدره للأمور مع الرغبة في الوفاء وقت في بكور اليوم إلى مكتبي أسجل هذه السطور القليلة ؛ ويقوى من غمى ما أعلم من أن الأدب أوسع صدرأ وأبر بمن ينسب إليه ، أو يحاول قربه من أن يردده خائباً ، أو أن يطوى عنه ستره

ومنذ سنة ١٩٣٦ لم أكتب شيئاً ، ومن المعجب اتفاق التاريخين .

وما كدت أكتب السطر الأول في تعليق على ما رأيت حتى ذكرت « الخط الأول » الذي أشار إليه ناظر الزراعة . فالخط الأول في كل سى هو أشقه ! أو لم يقبل الزارعون (تر الخط الأول في الحرث ؟ وإذن فلتقبل معانى الأدب وعظاته ما تم الخط الأول في المحاولة

ومن أروع ما قرأت حكمة لأبي شرف الأندلسي عنيت بها قديماً ، حتى نقشتها في رحبة دارى وجعلتها خلف الباب ، لتكون أمانى وأمام أولادى شحداً للعزم ، متى هم أحدنا بالخروج . قال أبو شرف : « إذا خرجت من دارك ، فقد قطعت ثلثي الطريق » .

وإذن فالخط الأول . . . هو الخط الأول . . .

(الشيخ عطا) في { ٢٠ شباط ١٣٦٣ / ٢٠ يولية ١٩٤٤ } محمد محمود ممدول

فصل الأديب

رأساد محمد إسماعيل النسايبى

٥٨٧ - ويشرى به القاتل الكفن

قال أبو الحجاج البلوى فى كتابه (ألف با) : أنشدنى الشيخ الفقيه أبو محمد العثمانى لبعض الشعراء بمدح أحد الملوك ، وكان يرى عدوه فى حال القتال بسهام من ذهب :

وقد صاغ من ذهب نصله فأبدى من المنى ما لم يُمكن
يُداوى الجريح به جرحه ويشرى به القاتل الكفن

٥٨٨ - صمغ شاعر رصف صوفى

فى تلمذة (التيمة) : استصفغ^(١) حيدر الخجندى بقوله :
ما إن سألت الله مذ أيقنت نفسى أن الدل تحت السؤال
وإنما كتبتة تعجبا من خرقه وحمقه فى الترفع عما يدين به
أفضل العالم وسيد ولد آدم نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)
ونظيره فى الجهل الكثيف والفعل السخيف - الصوفى الذى
كان إذا ذكر الله (سبحانه) لا يقول : تبارك وتعالى ، ولا عز وجل ؛ فإذا قيل له فى ذلك أنشد :

إذا صفت المودة بين قوم ودام إخاؤهم سمج الشفاء ...

٥٨٩ - كتب الدولة وعرضها على أئمة اللسان والفتوى

فى « طبقات الشافعية » للسبكي : كان إلى « ابن برقي »^(٢) التصفح فى ديوان الإنشاء ، لا يصدر كتاب عن الدولة إلى ملوك النواحي إلا بعد أن يتصفحه^(٣) إمام من أئمة اللسان وكان « القاضي الفاضل » يتصفح الكتب التى يكتبها المهاد الكتاب ومن دونه . وكانوا يستعظمون صدور كتاب عن

(١) طلب أن يصنع ، كأنه ما قال هذا القول إلا لذلك . والتصنع : قيل مولد

(٢) أبو عبد الله . يرى بفتح الباء وتشديد الراء الكسورة .
(٣) تصفح الكتاب قراءته قراءة تند . وتأمل تصفحت وجوه القوم إذا تأملت وجوههم تنظر إلى حلام وصورهم وتعرف أسرارهم

السلطان غير مروض على أئمة اللسان وأئمة الفتوى

وفى (وفيات الأعيان) : كانت وظيفة (ابن بابشاذ)^(١) بمصر أن ديوان الإنشاء لا يخرج منه كتاب حتى يعرض عليه ويتأمل ؛ فإن كان فيه خطأ من جهة النحو واللغة أصلحه ، فسيروه إلى الجهة التى كتب إليها ، وكان له على هذه الوظيفة راتب من الخزانة يتناولوه فى كل شهر ، وأقام على ذلك زمانا ...

٥٩٠ - البخيل

فى (بخلاء) الجاحظ ، فى رسالة أبى العاص بن عبد الوهاب الثقفى : البخيل عند الناس ليس هو الذى يبخل على نفسه فقط ، فقد يستحق عندهم اسم البخيل ويستوجب الذم ولا يدع لنفسه هوى إلا ركبه ، ولا حاجة إلا قضاها ، ولا شهوة إلا بلغ فيها غايته ، وإنما يقع عليه اسم البخيل إذا كان زاهدا فى كل ما أوجب الشكر ، ونوه بالذكر ، وأدخر الأجر . وقد يعانى البخيل على نفسه من المؤن ، ويلزمها من السكاف ، ويتخذ من الجوارى والخدم ، ومن الدواب والحشم ، ومن الآنية العجيبة ، ومن البرزة الفاخرة ، والشارة الحسنة ما يربى على نفقة السخى المثرى وجود الجواد

٥٩١ - إذا ماتوا لم يخلفوا شيئا

قال الصفدى : كان أبو الحسين بن الدماك يتكلم على رؤوس الناس بجامع المدينة ، وكان لا يحسن شيئا إلا ما شاء الله ، وكان مطبوعا بالتكلم^(٢) على مذاهب الصوفية فرفمت إليه رقعة فيها :
(ما تقول السادة الفقهاء فى رجل مات وخلف كذا وكذا) فلما فتحها ورأى ما فيها من الفرائض رماها من يده وقال : أنا أنكلم على مذاهب أقوام إذا ماتوا لم يخلفوا شيئا
فمعجب الحاضرون من سرعة جوابه

(١) طاهر بن أحمد . بابشاذ : كلمة مجمية تتضمن النرج والمرور

(ابن خلكان)

(٢) فى (الأساس) : هو مطبوع على السكرم وقد طبع على الأخلاق ، وهو منطبع بكذا

٣ - السراب ... !

للدكتور ابراهيم ناجي

تحيّة المعري

[ألفت في مهرجانه الأثني الذي أقيم في حيفا]

الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

صرايوني كأمه مسرحاً تمّ رَضُ فيه الحياة والأحياء
آدم كالفديم قلباً وتفكيراً رَأَ ولكن تبدّل الأزياء
لم يحلّ طبعه ولا ذات يوم ليست غير نفسها حواء
النصار المعبود ربّ ومحرراً بَ وقُدس والشهرة الجوفاء
والخطامُ الفاني عليه اقتتال والأمانى بريقها إغراء !
وسفين تمّ إثر سفين والرياحُ اللذات والأهواء
والغيوبُ المحجّباتُ رحابُ تعبتُ في رموزها الحكماء
عندها المرفأُ المؤملُ والشطّ (م) المُرَجّى والصخرةُ الصماء
مرّ بي اليوم كاسفاً وأنى كَيْدُ مَضَى تَزَفُ فيه السماء
قد جلت فيه عرسها كل نجم قدحٌ يستحمّ فيه الضياء
لم تزل تسكب السلاف وللأمة داح فيها تجددٌ وامتلأه
لم تزل ! حتى هوّم الحان نعسا ن وأغنى البساطُ والتدّماء
غير نجم في جانب الأفق يقظا ن له رونقٌ به وجلاء
ذاك نجم السعيد مئى له الشوق ومنه الوميض والإجماء
كم أغنيته بالحنين كما غدّ (م) ت على فرع غصنها الوراق
وذراعى في انتظار ومصدري فيه للضييق فرحة واحتفاء
موقداً للغريب نار ضلوعي رُبّ بالتار للغريب اهتداء
قد سرى مدحاً إلى على خو ف وبينى وبينه ينداء
كم دعوانه وهو نور بميد فاحتويناه وهو جسم مضاء
كيف خلّيتني وباعدت مَسْراً

كَ وما لي إلى ذراك أرتيماء
بالذي فيك من سنا لا تدعى فم هذا التسويف والإبطاء
ما تراني وقد ذهبتُ بخطي أخطأتني من بعدك النماء
وانتهى بعدك الجميل فلا فض لي لسند ولا يدُ بيضاء
ومضى الحسن بمدينتك والإحسان طراً والنورة السمحاء
حسناً كانت بد الدهر عندي فانطوت بانطوائها للآلاء
ابراهيم ناجي

سلام عليك حبيس الظلام حليف العذاب ، طريد القدر
على قلبك المبلى بالشقاء على روحك المضطرب المستعر
سلام عليك سلام الذئب إذا صافح الزهر غبّ السحر

أمنطلقاً من قيود التراب على حين يرسف فيها البشر
ومتخذاً عزلة المحبسين صفيّاً بقيه أذاه وشر
ويا من حيث بروح نأبى على ربة الجسد المنتصر
اجز برزخاً قام ما بيننا وبينك وارفع كثيف السُتر
ومن عالم الغيب أشرف علينا وبين لنا كنهه المستر
وقل كيف بت وراء الزمان وهل طبعت نفساً بذاك المقر
أما زلت تسمى وراء اليقين فينأى به عنك عقل عمر
ظلت مدى العمر في أسره وما قاد يوماً إلى مستقر
فكم حيرتك خبايا الغيوب وأورثك الشكّ سود الفكر
لقد فلسفتك حياة ألحت عليك بالامها - والغير
حياة تمّ على جانبيها فهذا يُسمى وهذا يسرّ
طوت عنك وجهه بشاشاتها وأولتكم وجهاً لها مكهر
فأفقر قلبك وهو الخصب وعاف الرقة وعاف الأثر
عذرتك ، ما انصفتك الحياة فكيف يطيب لديها العمر
وكيف يروق ، ولا نفس تهفو فتحنو عليك بقلب أبر

ويا باعث النور يهدي البصائر ما ذاق نعمة نور البصر
تملّ من السرمديّ البقاء ضياء الألوهية المنتشر
ضياء بفيض الرضى والأمان على من يحيط رجال السفر
هنالك لا محنة بتليك ولا أنت تشقى بحظ عمر
ويا سيرة تملأ الخافقين فتمنو لديها كبار السير
حياة الفتى حلم ينفضي وما العمر إلا خلود الأثر
(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان



تعقيب على مقال

طلعت علينا الرسالة الفراء في عددها ٥٧٣١ بمقال قيم للأستاذ عبد المنعم خلاف، عنوانه « دليل علمي يدحض مذهب وحدة الوجود »، ولما كانت بعض الآراء التي يحويها المقال المذكور تحتاج إلى مزيد من التمهيد والإيضاح رأيت أن أدل على ذلك باختصار في هذه المجلة

والذي يلفت النظر لأول وهلة قول الأستاذ في مستهل مقاله : إنه اهتدى إلى « دليل علمي قاطع يدحض هذا المذهب » ويلقى ضوءاً جديداً أمام العقل البشري الموغل في بحث علاقة الله بالكون » ومذهب الواحدية أو وحدة الوجود من أقدم المذاهب الفلسفية في العالم وأشدها إغارة للجدل . ويكتفى لإدراك خطره في تاريخ الفلسفة الحديثة ، أن نذكر الفيلسوف الكبير (سبينوزا) الذي يعد من أساطين هذا المذهب في العصر الحديث ومن أعظم الداعين إليه بالقول والعمل

فلماذا إذن الأستاذ - ونحن من المعجبين بكتاباته - بأن نناقشه الرأي في هذا الموضوع الخطير ، الذي لا يصح إطلاق القول فيه من غير حجة أو برهان

١ - بدأ الأستاذ بقوله : « وبدعي أن النظرة الأولى تهدي إلى أن الله غير الطبيعية ، وأن هناك انفصالاً بين الخالق والمخلوق ... » ونحن لا نوافق الأستاذ على أن هذه القضية من « البدهيات » ، بل ينبغي أن تمتد من مسائل الفلسفة الكبرى التي شغلت عقول المفكرين القدامى والحديثين ... وعلى أساس الحلول التي قدموها لهذه المشكلة قامت مذاهب لها أثرها في تاريخ الفكر - ومنها مذهب وحدة الوجود

ولعل أقرب دليل على أنها ليست أمراً (بدهيًا) أن يعنى الأستاذ خلاف بإيراد دليل علمي جديد لإثباتها

٢ - يقول الأستاذ خلاف : « ينبغي للمفكرين التجريبيين أن يقتصدوا في تلك الفلسفات الفرضية والشطحات الصوفية .

لأنها (ذاتية) وليست (موضوعية) ... » ونسائل الأستاذ مستطلعين لا منكرين : هل يجوز أن نصطنع الطريقة (الموضوعية) في بحث المسائل الدينية ؟ ألا يمكن أن تؤدي بنا هذه الطريقة إلى نتائج تشبه ما توصل إليه (رينان) في بحثه القيم المعروف ؟ أم ترى ذلك صحيحاً بالقياس إلى الدين المسيحي ، وليس يصدق على الدين الإسلامي ؟ ٣ - أما الدليل العلمي الذي يدحض به الأستاذ مذهب وحدة الوجود . نخلصه :

« أن العقل البشري تسلط باللاسلكي وتحكم به في الآلات وإدارتها ورصدها من بعد شاسع . كما ترى في (الرادار) وغيره (وعلى هذا الأساس) يجوز أن تقاس علاقة الله بالكائنات ، وبذلك تحل المشكلة التي خلقها عقول (أصحاب) مذهب وحدة الوجود »

وهذا التعليل (العلمي) طريف ولا شك ، ولكنه منتهات قليل الفناء . ألا ترى أنه يوقع الأستاذ خلاف - وهو المؤمن الخبث لله - في ورطة أخرى لا قبل له بها ، هي (التجسيم والتشبيه) ١

وإن كان (ماركوني) قد أضاء مكاناً في أستراليا وهو في أوروبا ، كما يقول الأستاذ . فالعلم الحديث يفسر هذه الظاهرة تفسيراً مادياً بحتاً ... ومثل (ماركوني) في ذلك مثل الذي يوقد ناراً بحجرين يصك بعضهما ببعض . وحاش لله أن يتصل بنا على هذا الوجه المادي الغليظ ...

٤ - ويقول أخيراً : « ينبغي للمفكرين أن ينادوا معنا إلى الصوفية المادية » . فإنا الصوفية المادية التي يدعو إليها الأستاذ ؟ فإن رأى الأستاذ خلاف إيضاح ما سبق على صفحات الرسالة الفراء ، ليعم به النفع ، ويرتفع اللبس ، كنا له من الشاكرين .

(بنداد)

صوفي محمد

مول أغلو

أخذ الأستاذ « علي محمد حسن » في عدد ماض من الرسالة على الدكتور ناجي بعض أغلاط في قصيدته (السراب) أحببت أن أصحح بعضها فيما يلي :

١ - لعل البيت المكسور ينقصه كلمة « عندنا » فيكون هكذا :

اسمك العذب عندنا أروع الأسماء

بها نمددت أسماء
وبذلك يكون صحيحاً

٢ - (الصدفة) كلمة لغوية بالرغم مما شاع من عدم لغويتها ، فكثير من المعاجم وكتب اللغة كاللسان أوردها . وفي حديث أبي ذر « ... والبر ما حاك في النفس ولم تله صدفة » وقال أبو دهبيل الجحفي :

فطوراً أمنى النفس لقياك صدفة وطوراً إذا ما لجى الحزن أنشج
أما (الهناء) فلم أعثر عليها إلا في قول الشاعر :

هنا محاذك الغراء المقدما فما لبث المحزون حتى تبسما
٣ - يوصف الجمع أحياناً بوصف المفرد ، وخاصة فيما كان مفرداً على أفضل مذكور فعلاء (المعنى والأشعوى) كأهوج وهوجاء وأسود وسوداء
قال جرير :

وجوههم السوداء جهم كأنها ظرابي غربان بمجرودة محل
٤ - أما الأبد عند الدكتور ناجي ، فلم يخرج عن الزمن عند اللغويين ، ولكنه زمن الشاعر الذي يتجسم في خياله المعنى والزمن كأنه محدد .

هبة الحمير ناصف
مدرس بكلية اللغة العربية

الحوارزمي

جاء في مقال الأستاذ منصور جاب الله المنشور في العدد ٥٧٥ من الرسالة ما يأتي :

« كان القديس يمدون الأديب أدبياً بكثرة حفظه ، على حين أن كثرة الحفظ لا تجعل من الإنسان أدبياً ، وإنما تخلق منه (راوية) . وليس أدل على ذلك من أن الحوارزمي الذي صدرنا بحكايته هذا الفصل قد هزم هزيمة نكراء حيال بديع الزمان الهمذاني ، وهو الشاب الحدث هزيمة اختصرت حياته »

ولا أريد أن أستمض مع الأستاذ ما كان يراد بكلمة (أدب) في العصور المختلفة ، ولا أن أناقشه في أن القديس لم يطلقوا هذا اللفظ على الحوارزمي لكثرة حفظه فحسب ، وإنما رأوا مع ذلك فيه الشاعر النائر ، لست أريد شيئاً من هذا ، وإنما أريد أن أرفع عن أبي بكر هذا الظلم الذي لحقه طوال هذه القرون

فالحوارزمي لم يهزم في هذه المناظرة من ضعف أو تقصير ، ولكننا نجعل أشياء لعلها ترفع عنه هذا الحيف :

(١) انفرد البديع برواية هذه المناظرة ، وهو شاب حدث يطلب الشهرة ؛ فمن شأنه التزيد والادعاء

(٢) استفحل البديع قبل المناظرة سيداً شيعياً من المحكمين ومدحه بقصيدة . ثم ادعى على الحوارزمي كرهه للشيعية

(٣) كان الحوارزمي مبعوضاً من وجوه القوم في نيسابور البلد الذي جرت فيه المناظرة

(٤) استعان البديع بفتاته وحدثاته سنه وميل الحاضرين إليه فهو شوش وشوش ، ولعل الحوارزمي استصغر هذه الأمور فكف وعف

(٥) وعلى فرض أن الحوارزمي هزم حقيقة في هذا الصراع . فالمعروف أن المناظرة لم تكن في أمور أدبية ذات

بإل ، حتى يستدل بذلك الأستاذ على ما ادعاه

هذا مجمل موجز لهذا الموضوع أحببت به أن أنبه الأذهان

إلى الحق في هذه المناظرة التاريخية المشهورة
مدرس بالأزهر

« قهيرة » الأستاذ شعبان قهري

تفضل الأستاذ شعبان قهري المحامي فأهداني قصة (وجيدة) التي قامت بنشرها جماعة نشر الثقافة بالشر الحبيب ؛ فأخذت أنقل البصر بين صفحاتها ، وأرسل الفكر وراء لفتاتها ؛ فما وجدت فيها غير حيوية تفرض عليك شخصية المؤلف الفاضل في رفق وأناة في غير ما مبالغة في التصوير ولا اضطراب في الوحدة القصصية

القصة صورة واضحة التقاسيم ، باسمة الألوان التي تصور البيئة التي أنبتت بطلها ووجد فيها منازع تصوره ومطارح هواء ومهبط إلهامه ، وهي فوق ذلك توشك أن تكون طبيعة صادقة ترخر بالآمال والأحلام وتموج بالأشجان والآلام ، وقد نلست آثارها في كل صفحة بل في كل كلمة من كلماتها . ولقد صدق الدكتور « المرحوم » إسماعيل آدم حين قال إنها قد تكون أول قصة مصرية طويلة تتبع من أصول مصرية وتفيض بمشاعر مصرية وبعد ، فليس بغريب أن تكون القصة على هذه الحال من السكال في الوحدة والسهولة في العرض والصدق في التعبير فصاحبها الصديق الفاضل تجرئ في دماغه الروح القصصية ، بل إن ثقافته القانونية تفرض عليه ذلك .

(الاسكندرية)
حسين محمد البشبيشي